أتشتمه وأنا على دينه؟!

قال ابن إسحاق: حدثني رجلٌ من أسلم ، كان واعيةً ، أن أبا جهلٍ مرّ برسول الله ﷺ فآذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلّمه رسول الله ﷺ ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكنٍ لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه ، فعمد إلى نادٍ من قريشٍ عند الكعبة ، فجلس معهم ، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشّحاً[1] قوسه ، راجعاً من قنصٍ له[2] ، وكان صاحب قنَصٍ يرميه ويخرجُ له ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على نادٍ من قريش إلاّ وقف وسلّم وتحدّث معهم ، وكان أعزّ فتًى في قريش ، وأشدّ شكيمةً[3] .

فلما مرّ بالمولاة وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته ، قالت له: يا أبا عمارة ، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمدٌ آنفاً من أبي الحكم بن هشام! وجدهُ ها هنا جالساً ، فآذاه وسبَّه ، وبلغ منه مايكره ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلّمه محمد ﷺ.

فاحتمل حمزةَ الغضبُ لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ، ولم يقف عند أحدٍ ، مُعدّاً لأبي جهلٍ إذا لقيه أن يوقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها

---

(١) أي: متقلّداً.

(٢) أي: من صيدٍ له.

(٣) أي: الأنفة ، والانتصار من الظلم.

فشجّهُ شجّةً منكرة ، ثم قال: أتشتمه؟ فأنا على دينه أقول ما يقول ، فرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعتَ.

فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهلٍ: دعوا أبا عمارة ، فإني والله قد سببتُ ابن أخيه سبّاً قبيحاً ، وتمّ حمزة رضي الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله.

فلما أسلم حمزة عرفت قريشٌ أن رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[1].

نعم يا سيدي يا أبا الزهراء:

ما أعظم إنسانيتك ، وما أجمل خلقك وخُلقك ، فأنت المثل الأعلى والإنسان الكامل ، آذاك قومك فصبرت ، حاولوا مراراً وتكراراً قتلك فسامحت ، تحمّلت من أجل الدعوة إلى الله الكثير الكثير ، فكنت بذلك الأسوة والقدوة لكل المصلحين ، وهذا ما شهد به الأعداء قبل الأصدقاء ، مثال ذلك ما قاله (تولستوي) الفيلسوف الروسي: (وفي سني دعوة محمد الأولى تحمّل كثيراً من الاضطهاد ، شأن كل نبيّ بُعث قبله ، نادى أمته إلى الحق ، ولكن هذه الاضطهادات لم تَثْنِ عزمه ، بل ثابر على دعوة أمته ، مع أن محمداً لم يقل إنه النبي الوحيد ، بل جاء متمماً للرسالات السابقة ، ودعا قومه إلى هذا الاعتقاد أيضاً).

علمتنا سرّ الحياة وقُدْتنا ... للخير والتوفيق والبركاتِ
جنبتنا الزّلل الكبير وصُنتنا ... من شهوة تطغى ومن نزواتِ
إنْ شرّقَ القوم الكبار وغرّبوا ... فإليك حتماً منتهى الخطواتِ
ضلّت علومهمُ برغم نبوغهم ... وتعرّضوا لمهالكٍ خطراتِ
وتنكّبوا سُبل السلام وأقبلوا ... يتشدّقون بأجوف الكلماتِ
لو أحسنوا فَهْمَ السّلام لأسلموا ... ما غيرَ دينك سُلّم لنجاةِ

* * *

(١) سيرة ابن هشام: ١/ ٣١٢، تاريخ الطبري: ٢/ ٣٣٣، عيون الأثر: ١/ ١٠٤.